ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Assist. Lectr. Yasra saad ali
Wasit Education Directorate
Email : ssh11r@yahoo.com

Keywords:
Mother, social alienation, Jikur, Family..

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	7 Jul 2024
Accepted	31 Jul 2024
Available online	1 Oct 2024

Manifestations of the family in Al-Sayyab's poetry

A B S T R A C T

The poet Badr Shaker Al-Sayyab, an Iraqi poet who was born in 1926 and died in 1964, had a major role in renewing contemporary Arabic poetry and is considered one of its founding pioneers. The family played a major and influential role in shaping his personality, as it influenced all poetry and its influence on his poetry. As the family and upbringing are the rural environment and the difficult childhood after the death of his mother when he was six years old, as this incident greatly affected the poet's life. The loss of his mother and the pain , The psychological aspect became and became a major topic in his poems that reflected the features of sadness. From family experiences, Al-Sayyab was raised in a family that cared about traditions and values. Education increased his intellectual and literary aspirations, and his older family members played a role in his acquaintance with literature and poetry and supporting him in his creative career, in addition to the influences Emotional, as it affected personal and emotional relationships. The wife and children often became a great source of inspiration. He had an intertwined life related to emotion, loss, and love. Emotion provided him with moral support because in the poet's life there was a lot of poverty, illness, and destitution, as these reflections were clearly found in His poetry, which added human depth to his works.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol4.Iss16.3758

تجليات الاسرة في شعر السياب

م.م. يسرى سعد علي/ مديرية تربية واسط

الخلاصة:

ان الشاعر بدر شاكر السياب، شاعر عراقي ولد عام 1926 وتوفي عام 1964 ، كان له الدور الكبير في تجديد الشعر العربي المعاصر وهو يعد من الرواد المؤسسين له، لعبت الاسرة في تشكيل شخصيته بشكل كبير ومؤثر، حيث انها اثرت في الشعر كله وتأثيرها في شعره ، حيث ان الاسرة والنشأة هي البيئة الريفية والطفولة الصعبة بعد وفاة والدته، وهو في سن السادسة من عمره حيث ان هذه الحادثة اثرت بشكل كبير في حياة الشاعر، ان فقدان الام والالم النفسي اصبح وبات موضوعا كبيرا في قصائده ليعكس ملامح الحزن ، ومن التجارب العائلية

قد تربى السياب في كنف عائلة تهتم بالتقاليد والقيم ، والتعليم زادت تطلعاته الفكرية والادبية وكان لأفراد عائلته الكبار منهم دور في تعرفه على الادب والشعر ودعمه في مسيرته الابداعية ، فضلا عن التأثيرات العاطفية ، حيث اثرت العلاقات الشخصية والعاطفية ، باتت الزوجة والابناء مصدرا كبيرا من الالهام في كثير من الاحيان وكان للحياة المتشابكة التي تخص العاطفة ، الفقدان، الحب ، وفرت العاطفة له الدعم المعنوي لأن في حياة الشاعر الكثير من الفقر والمرض والعوز حيث وجدت هذه الانعكاسات بوضوح في شعره مما اضاف العمق الانساني في أعماله .

الكلمات المفتاحية : الأم ، الاغتراب الاجتماعي ، جيكور ، الاسرة.

المقدمـــــــــة:

الحمد لله، رب العالمين بعد الحمد والثناء والصلاة والسلام على محمد أشرف الخلق وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين. أما بعد فيعد بحث الاسرة في حياة السياب حيث الام والجد والجدة والاخت والزوجة وسنتعرف ايضا الى نماذج من اشعاره حيث عرف عن حبه الشديد وتعلقه بالعائلة، حيث يمثل البحث النتيجة المرجوة عن الكتابة في حياته والتعرف عليها وفهم ظاهرة التعلق بالزوجة والابناء

وقسم البحث الى مبحثين تسبقهما مقدمة وتمهيد جاء فيه حديث عن السيّاب يخص حياته حتى وفاته وكان العنوان المبحث الاول: أغراض شعره وتناول الأم في شعر السياب, والاب في شعره, والجد, والجدة في شعره.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

واما المبحث الثاني فكان عنوانه الحياة الاجتماعية عند السياب وفيه

أولا : الاغتراب الاجتماعي . ثانيا : الزوجة في شعر السياب , ثالثا : الاطفال رابعا : المرأة في شعر السياب.

حيث هنا يمكن ان تطرح الاسئلة ما هو تأثير البيئة في شعر السياب وماهي العلاقة بين الحنين الى وطنه وقريته وبين شعره وكيف ساهم مساهمة كبيرة في احداث طفرة نوعية في الشعر الحديث وماهي الاتجاهات الشعرية التي كتب عنها وماهي علاقته مع الشعراء الاخرين الذي ابدعوا معه في احداث التغيير النوعي لدى الشعر العراقي

والله ولي التوفيق

وقسم البحث الى مبحثين تسبقهما مقدمة وتمهيد جاء فيه السيّاب حياته حتى وفاته وكان العنوان المبحث الاول: أغراض شعره وتناول الأم في شعر السياب, والاب في شعرهُ, والجد, والجدة في شعرهِ.

واما المبحث الثاني : كان عنوانه الحياة الاجتماعية عند السياب وفيه

أولا : الاغتراب الاجتماعي . ثانيا : الزوجة في شعر السياب , ثالثا : الاطفال رابعا : المرأة في شعر السياب

التمهيد

بدر شاكر السياب هو شاعر عراقي معاصر ولد في البصرة عام 1926 معروف باسلوب شعري عميق متأثرا بتراث شعر عائلته وقد حصل على العديد من الجوائز الادبية وله دور كبير في دعم الشعر العراقي والعربي المعاصر اتسم شعره احيانا بالغموض واحيانا بالسهولة والشفافية عرب عن مشاعر الحب والوجع والانتماء بطريقة عاطفية جذابة وهو يعد من أبرز الشعراء العرب لديه شعبية كبيرة في ارجاء الوطن العربي تدهورت حالته الصحية عام 1961 وسافر الى الكويت لتلقي العلاج هناك توفي في احدى المستشفيات هناك عن عمر ناهز 38 عاما .

المبحث الاول

الاسرة في شعرهِ

يقف السيّاب من الشعر الحديث موقف الثائر الذي يعمل على قلب الأوضاع الشعريّة, ونقل الشعر من ذهنية التقليد وتقديس الأنظمة القديمة إلى ذهنية الحياة الجديدة التي تنطق بلغة جيدة، وطريقة جديدة، وتعبّر عن حقائق جديدة. وساعدَ السيّاب في عمله جرأة في طبيعته، وتحرُّك اجتماعيّ وسياسيّ ثوري هز العالم الشرقيّ هزًّا عنيفًا، ثم انفتاح على أدب الغرب وأساليب الغرب في التفكير والتعبير.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وقد أدخل السيّاب على الشعر العربي ثورته التي قام بها في مجتمعه، فحوّله من نظام العروض الخليلي إلى نظام الحرية، وأخرج الأوزان القديمة من قواعدها المألوفة إلى أوزان أملَتْها عليه معانيه ونبضات وجدانه، وتصرف بالتفاعيل والقوافي وفاقًا للمزاجيّة الشعريّة التي يوحي بها مقتضى الحال، هذا فضلًا عن التيارات الفكرية والتحليلات العميقة التي زخر بها شعره وانساق في مجاريها انسياقًا فُراتيًّا يمتدّ امتدادًا حافلًا بالغنى ومتأججًا بتأجّج العاطفة والحياة والخيال التي ينطلق منها (توفيق, 1975 , 34).

تروعك في شعر السيّاب تلك الثروة الفكرية، وتلك الغزارة المعنوية، وذلك التلاحق الهائج المائج في تدفّقه الذي يجمع الصّخب إلى التغلغل في بواطن النفس؛ وذلك العصف الفكري والعاطفي المرهق، ثم تلك الواقعية اللفظية الضارية، والإلحاح على المشهد المثير واللفظة المعبّرة عن الثورة الحياتية المتفجرة، ثم أخيرًا تلك الرمزية التصويرية تستعين بالميثولوجيا والإشارات التاريخيّة التي تزيد الكلام حدّةً وبُعد آفاق(الفاخوري, 1998: 640).

الأم في شعر السياب

قبل الخوض في الصورة التقليدية التي استعملها الشعر بدر شاكر السياب في شعره لصورة المرأة ، علينا ان نبين ان الشاعر قد مر بمراحل مهمة ومتدرجة في حياته لقضية المرأة ، فالمرأة في شعر السياب لم تكن محطة واحدة وقف عليها الشاعر فحسب ، بل تعددت تلك المحطات في حياته وفي قصائده .

ان اكثر الصفات الثابتة للمرأة في الشعر التقليدي لا يميز فيها شاعر عن آخر إلا بمهاراته في تكريس اكبر عدد من المهارات والصفات ، او إغراق الشعر بالإعادة والتكرار(عباس, 2007: 15) .

وقد تميز الشاعر بتصوير الأم وكذلك تطرق لصورة الجدة بوصفها حضنا دافئا ، وتنوع بوصفه للحبيبة , فالأم عند السياب هي أول محطة مر بها في حياته ، وهي مرحلة مهمة ؛ لأنه قد تأثر بها تأثيرا واضحا في قصائده ، كانت أمه قد توفيت وهو صغير ((فقدت أمي وما زلت طفلا صغيرا فنشأت محروما من عطف المرأة وحنانها)) (الجنابي , 1987, 104).

ولكنه لم يحرم حنان جدته عندما كفلته في الرعاية والعطف والتربية والتي توفيت هي الأخرى فقال عن هذه الحادثة في رسالة إلى خاله الشواف ((البصرة 23/ 11/ 1942))

((حرمت عاطفة الأمومة وأنا ابن أربع ... ولكنني لم احرم من صدر يضمني ويحنو علي ولكنني لم احرم جدتي ، ومرت السنون وأنا أهفو إلى الحب ولكنني لم أنل منه شيئا ولم اعرفه وما حاجتي إلى الحب ما دام هناك قلب لجدتي يخفق بمحبتي ، أفيرضى الزمن العاتي ..... أيرضى القضاء ان تموت جدتي اواخر هذا الصيف ؟ فحرمت بذلك آخر قلب يخفق بحبي ويحنو علي ، أشقى من ضمت الأرض)) (الجنابي, 1987: 105) ، وهذا الإحساس بالخيبة والمأساة والوحدة دفعه مبكرا إلى كتابة قصيدة (رثاء جدتي) وذلك في 1942/9/9 والتي يقول فيها :

جدتي:

وهي كل ما خلف الدهر من الحب والمنى والظنون

ورجاء بدا فألهمني الصفو وخفّت انواره لحنيني

ثم يقول :

جدتي من أبث بعدك شكواي ؟ طواني الأسى وقل معيني

أنت يا من فتحت قلبي (الجنابي, 1987: 106)

وهكذا بقي السياب متعطشا لحنان أمه ، وهو يتذكر طفولته البائسة وحرمانه من أحضان الأم الدافئة ، ان محنة الإنسان في حياته تدفعه الى تتبع تاريخ مأساته من جذورها حينما يقول (عطش أنت يا أمي ؟) لان الطفل لا ينام إلا في حجر أمه كما يقول في قصيدة (سهر) كما يتذكر أمه في قصيدة (نداء الموت) إبان تذكره لابنه غيلان يقول :- غيلان يدعو أبي

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

سر ، فاني على الدرب ماش أريد الصباح وتدعو من القبر أمي ((بني احتضني فبرد الردى في عروقي)) . (عباس, 2007: 249)

"ان اول اهتمام لنظام القصيدة هو الاستهلال لكونه متحكما في بدء نظم القصيدة وصولا الى الاثر المنشود الذي يتوخاه الشاعر ويعد السياب من ابرز رواد الشعر العراقي والعربي الحديث الذين اولوا فواتح القصائد اهتمامهم متحرين الجمالية الفنية فلا تذكر الحداثة الشعرية الا وذكر السياب" (عبود، 2023: بلا)

أما قصيدة (الباب تقرعه الرياح) فإنها محاولة لاستحضار صورة الأم وحنانها إلى ابنها ، ان صورة الأم هنا تعبير عن العودة إلى الجذور الى البداية والمنعطفات الأولى وجواهر الأشياء، إنها عودة الى جوهر الحقيقة في التفاعل مع الحياة والوجود لإعادة ترميم ما تهدم ، فرح الأم يهزها الحب العميق حب الأمومة فتسال عن ابنها والابن ينطلق عبر منولوج درامي يحاول أمه التي رحلت عن أطفالها ، فالتمسك بالأطياف والأرواح هو التمسك بالأحلام :-

هي روح أمي هزها الحب العميق

حب الأمومة فهي تبكي :

(اه يا ولدي البعيد عن الديار ! ويلاه ! كيف تعود وحدك ، ولا دليل ولا رفيق ؟)

اماه .. ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار

لا باب فيه لكلي أدق ولا نوافذ في الجدار (حسن, 1983: 51)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

والشاعر لم ينس أمه حتى بعد ان لازمه المرض في آخر حياته ، فكانت الأم بالنسبة إليه هي الحضن الدافئ الذي فقده , كما انه يقرن صورة الام بالوطن لأنهما صورتان متقاربتان من حيث الحنان فالأرض هي الام ، ويجعل من صورة الأم والوطن (صورتان متلازمتان) فالأم هي رمز للوطن يقول :-

هي وجه أمي في الظلام

وصوتها ، ينزلقان مع الرؤى حتى أنام

وهي النخيل أخاف منه اذا ادلهم مع الغروب

فأكتظ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب (عباس, 1983: 251)

هنا الشاعر قد جعل في هذه القصيدة الرائعة ذات مضامين قوية أثث لها عبر إيحاءات وصور فنية في غاية الجمال والرقة ، الشاعر نجح أيضا في تكريس إقران الأشياء بعضها مع بعض، عبر مزجه للغة التعبيرية التي جاء بها ، ليجسد لنا تلك الكلمات المعبرة , والصور التي جمعها الشاعر كانت ممزوجة مع بعض في صورة واحدة ، حتى ان بعض هذه الصور أو الأشياء كانت صورا متناقضة إلا أن الشاعر جعلها ذات صورة واحدة بمضمون وشكل جديد ، فجمع ما بين (الموت والحياة - الجوع والنقود - العودة والبقاء - العراق والأم -

الأرض والبحر), هذه الصور المتشابهة كانت أو المتناقضة صوَّرها الشاعر عبر مدخل واحد لقصيدة واحدة فكان الإيحاء والشكل والمضمون لصورة في غاية الجمال(حسن, 1983: 53).

ربما هذه العوامل الأولى والمهمة في حياة الشاعر ، ومن ثم قد يكون دافعا مهما في التأثير بقصائده وميله للنساء والتعطش لحنان المرأة سواء أكانت محبوبة او زوجة لسد فراغ حنان الأمومة الذي فقده الشاعر اضافة الى مزج فقدان الحنان بالحزن والمعاناة التي مرت على الشاعر في بداية حياته (حسن, 1983: 54).

فقد كان قلب الشاعر يتأجج بتلك المعاناة وتلك العاطفة الحزينة الرقيقة الناجمة عن إحساس دائم بالتهيؤ لحب امرأة تبقى بعيدة عنه ، وكان السياب حساسا مرهفا ومحروما ينطوي على نفسه التي اختزنت كل روادع البيئة ونواهيها ، لا يستطيع لحرمانه ان يتكيف معها تكيفا مطلقا ولا يجد ان من حقه ان يتمرد عليها ، ومن خلال هذا الانطواء الذي يسببه إحساس مرهف بحرمانه يتكشف حنين الى المرأة :-

لا تزيديه لوعة فهو يلقاك لينسى لديك بعض اكتئابه

قربي مقلتيك من وجهه الذاوي تري في الشحوب سر انتحابه (الجنابي, 1987: 107)

ولو كان السياب إنسانًا اعتياديًا لقنع بالانزواء في إحدى زوايا المجتمع وكان نسيًا منسيًا، ولكنه شاعر يعتلي المنابر، ويتصدر المناسبات، ويتعقب الجمال، لذلك كان قبحه خنجرًا في خاصرته، وربما سمع بسبب ذلك مالا يسره لأن هيئته الخلقية كانت ناتئة في حياته إلى الحد الذي عجز عن التغاضي عنها أو التقليل من شأنها (بلاطة, 1971: 144) إن هذا الأمر وحده كاف لأنْ يشكل بؤرة اغتراب حاد(الخياط, 1965: 153) فكيف لو تضافرت معه عناصر أخرى في مقدمتها: وفاة أمه، وهو في السادسة من عمره،(الخياط, 1965: 154) فيفتقد بذلك حنانًا هو أحوج ما يكون إليه في حياته الأولى التي تصورها خريفًا طويل الليالي بعدها، يقول:

في ليالي الخريف الطوالْ

آه لو تعلمين

كيف يطغى علي الأسى والملالْ!؟

في ضلوعي ظلام القبور السجين

في ضلوعي يصيح الردى

بالتراب الذي كان أمي ((غد

سوف يأتي، فلا تقلقي بالنحيب

عالم الموت حيث السكون الرهيب)) (السياب, 1966: 68)

إن الموت الذي اخترم أمه سيكون كالطير الذي يحوم فوق رأسه، يلاحقه في كل مكان، وينغص عليه حياته في كل حين، والطفل الذي افتقد أمه قبل ثلاثين عامًا يستيقظ الآن في صدر الشاعر حالمًا، من فرط الوحدة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

والألم، بلقاء الوجه الذي غيبته السنون، متصورًا أن ذلك سيضع حدًّا لآلامه، فحين يشتد عليه المرض، وييأس من الشقاء يتوسل بقبر أمه أن يفتح ذراعيه لاستقباله (حسن, 1983: 54)

الآب في شعر السياب

كان السياب يفتقر إلى علاقة راسخة مع أبيه الذي وردت عنه في شعره المبكر إشارتان واضحتان يقول في أولاهما :-

خيالك من أهلي الأقربين

ابر وان كان لا يعقل

أبي منه جردتني النساء

وامي طواها الردى المعجل (الخياط, 1965: 154)

مؤكدا انه يتوقع ان يجد من حب ابيه ورعايته ما يعوضه عن غياب امه المبكر ، بينما نستطيع ان نفترض ان اباه لم يكن يختلف آنذاك عن اي رب عائلة من آباء طبقة متوسطة جاهلة يستغرقها الكدح ، لا يعي من علاقته بأبنائه اكثر من انه يوفر لهم أسباب العيش حتى سن معيشة ولا شيء غير ذلك (توفيق, 1975: 45).

بابا...بابا "

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ينسابُ صوتُك في الظلام، إليَّ، كالمطرِ الغضيرِ

بنسابُ من خَللِ النُعاسِ وأنتَ ترقدُ في السريرِ

من أيّ رؤيا جاء ؟ أيّ سماوةٍ ؟ أيّ انطلاقِ ؟

... وأظلُّ أسبحُ في رَشاشٍ منه، أسبحُ في عبيرِ

فكأنَّ أوديةَ العراقِ

ماذا نقرأ في هذا المقطع، المُفتتح ؟ عُرس للطبيعة وبهجة غامرة تشارك فيها فرحة الشاعر بأول مقطع ينطقه طفله الصغير لأبسط الكلمات (بابا). نجد هنا السماء والماء والأودية والمطر وربّة الخصب والتناسل عشتار تحمل الأزهار والأثمار لأودية العراق. أشرك الشاعر في هذا المقطع أغلب عناصر الطبيعة وجنّدها للمساهمة بهذه المناسبة. الشاعر الفقير والضعيف لا يتحمل وحده عبء ومسؤولية النهوض بمستلزمات هذا العرس وهذا الفرح. إذن فلتتقدم الطبيعة، وهي أم الجميع، وتقف أمام وحوالي الشاعر الأب وتعرب عن بهجتها بطرقها الخاصة حسب وضع عناصرها في الكون. صوت غيلان وهو ينطق كلمة (بابا) كالمطر وكالرؤيا وهو عبير وزهور ثم في غيلان إنبعاث الشاعر وخلوده في الحياة (البصراوي,1966, 67).

الجـــــــد

نجد في شعر السياب ما آلت إليه القرابة الدّمويّة، أساس العصبية القبلية وواحدة من أبرز مقومات السلطة العربية الاسلامية، تعبيرها المميّز حيث يماثل طرفاها الجدّ الأكبر وسيلة الأصغر في الموت والأنهدام. هكذا يعي المتكلّم وضعه الراهن : موتًا ذاتيًا و جماعيًّا سلاليًّا و عرقيًّا و تاريخيًّا في الوقت نفسه، يعلنه اسمه المكتوب على القبرين المجتمعين في حفرة البؤس والأنحطاط و الأنكسار.(سويدان, 1981: 163) ويربط الشاعر بين السلف؛ أمة العرب و بين الخلف، فالاسم الذي قرأه على صخرة القبر إنّما قرأه في الحقيقة على قبرين: قبرٌ لجد أبيه الذي مازال يحنّ إليه، والذي لم يبق منه سوى (محض رمال) و (محض نثارة سوداء) (السياب, 1966, 198).

وبه تتمثّل معنويات القوم و روابطهم التاريخية، و قيمهم الإنسانية، و قبره هو، بما يمثّله من موت حضاري، و ضعف و تفلّك، و واقع متصدّع منهار، و بقايا نبض و تحرك و تطلع إلى الحياة مما إعتبره الشاعر ظلًّا للوجود، و تساءل بسببه عمّا إذا كان حيًّا أم ميّتًا. و كأنه يريد أن يجعل من الحياة العربية العصرية في بعض وجوهها على الأقل أمتدادًا لتلك الحياة السالفة، و أستمرارًا لحركتها و تفجّرها و أندافاعها(أبو حاقة, 2009: 434):

و كان يطوف من جديّ

مع المدّ

هتاف يملأ الشطآن «يا وديانا ثوري».

ويا هذا الدم الباقي على الاجيال

يا إرث الجماهير

تشظّ الآن و اسحق هذه الأغلال

وكالزلزال

هزّ النير، او فأسحقه، و أستحقنا مع النير»

و كان إلهُنا يختال

بين عصائب الأبطال

من زند الى زند

ومن بند الى بند (السياب, 1966: 174)

ففي المقطع الثالث حديث المتكلم عن جده، فيظهر أنّ هذا الأخير ليس نثارة رمل و رماد فقط ، ما أوحي المقطع الثاني بذلك، فما خلّفه الأسلاف إلى الأجيال اللاحقة ليس هزائمهم وإنكساراتهم و حسب، بل، و هذا هو الأهم، نضالهم في وجه الإستعباد وثورتهم على القهر والاستغلال كما يدلّ على ذلك هتاف الجد يستصرخ

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الأرض و يستحدث سلالة المناضلين من الشعب لتحطيم ما يكبّلهم والتضحية بالذات و حتى بالجميع في سبيل ذلك إن اقتضى الأمر و كما يتّضح البعد الرمزي لله في هذا المقطع، فهو هنا جزء لا تجتزأ من هؤلاء المناضلين في سبيل الحرية و من مآثرهم و إنجازاتهم على هذا الطريق. كان موته هو الآخر الملاحظ آنفًا لم يكن و كما حال الجدّ و الأسلاف، إلا نتيجة إنغماسه في هذا الكفاح التحريري ضمن هذا المنظور لا يعود الله ذلك المفهوم الديني التقليدي الغيبي المتعارف عليه، إنّما يتقدم كمفهوم جديد إنساني حضاري أنّه و رمز الإنسان العربي حضارته التّليدة الراقية و كفاح من أجل القيم النبيلة كالحرية و العدل ...يزهو إنتصاراته ويكبو بهزائمه (السياب, 1966: 68).

((فقد حقق هذا الجدّ انتصارات في ذي قار، ولكن أبناء إنقسموا فريقين، فريق حمل راية الثورة في جبال الريف و فريق عرف عار الهزيمة في يافا ترى ما الذي حطم هذه الحضارة؟ إنها غارات الجراد من التتر و الصليبين و هما سيّان، فلمّا إندحر الصليبيون بالأمس جاء و اليوم ينتقمون لأنفسهم من قوتنا و إنتصارنا و إنتصار إلهنا؛ و هكذا إرتبط الماضي و الحاضر بإرتباط قبرين (كهفين متجاوزين يعيش فيها الجدّ و حفيده)) (ابو حاقة, 2009: 436)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المبحث الثاني
الاسرة في شعره

أولا : غربة السياب العائلية الاجتماعية

في جيكور تبدأ غربة السياب الاجتماعية، والتي ستقوده إلى ((تجارب مشبعة بالمرارة والألم.. ومن أبرزها تجاربه في الحب، والثورة، والحاجة، والحنين إلى الماضي، والمرض الوبيل))(السياب, 1966: 7) , وقد ولدت هذه الغربة من رحم ظروف وأحداث لم يكن للسياب يد فيها، أولاها دمامة وجهه وهزال جسمه، فها هو يصف نفسه قائلًا:

اهي الكيان كأن خطبًا هده

ذ اوي الشفاه لطول ما يتنهد

و هو المعطَّلُ من قوامٍ فارعٍ

يسبي العيون ووجنة تتورد (السياب, 1966: 337)

ولو كان السياب إنسانًا اعتياديًّا لقنع بالانزواء في إحدى زوايا المجتمع وكان نسيًا منسيًّا، ولكنه شاعر يعتلي المنابر، ويتصدر المناسبات، ويتعقب الجمال، لذلك كان قبحه خنجرًا في خاصرته، وربما سمع بسبب ذلك مالا يسره لأن هيئته الخلقية كانت ناتئة في حياته إلى الحد الذي عجز عن التغاضي عنها أو التقليل من شأنها.(الخياط,

1965: 153) إن هذا الأمر وحده كاف لأن يشكل بؤرة اغتراب حاد فكيف لو تضافرت معه عناصر أخرى في مقدمتها: وفاة أمه، وهو في السادسة من عمره (بلاطة, 1971: 44).

فيفتقد بذلك حنانًا هو أحوج ما يكون إليه في حياته الأولى التي تصورها خريفًا طويل الليالي بعدها، يقول:

في ليالي الخريف الطوالْ

آه لو تعلمين

كيف يطغى علي الأسى والملالْ!؟

في ضلوعي ظلام القبور السجين

في ضلوعي يصيح الردى

بالتراب الذي كان أمي ((غدا

سوف يأتي، فلا تُ قلقي بالنحيب

عالم الموت حيث السكون الرهيب))

إن الموت الذي اخترم أمه سيكون كالطير الذي يحوم فوق رأسه، يلاحقه في كل مكان، وينغص عليه حياته في كل حين، والطفل الذي افتقد أمه قبل ثلاثين عامًا يستيقظ الآن في صدر الشاعر حالمًا، من فرط الوحدة والألم، بلقاء الوجه الذي غيبته السنون، متصورًا أن ذلك سيضع حدًّا لآلامه، فحين يشتد عليه المرض، ويأس من الشفاء يتوسل بقبر أمه أن يفتح ذراعيه لاستقباله , وحين ترتخي عنه قبضة المرض، تضيء له بارقة من أمل فيخاطب أمه قائلًا:

أماه ليتك ترجعين

شبحًا، وكيف أخاف منه وما امحت رغم

السنين

قسماتُ وجهك من خيالي(ابن الجلبي, 1983: 616).

ومن عناصر غربته الاجتماعية موت جدته، وزواج أبيه، أما موت جدته فقد ((جعله... وحيدًا مستوحشًا)) (بلاطة, 1971: 30) , فهي الصدر الذي احتضنه بعد رحيل أمه، وقد فقد بغيابها آخر معين له، يقول:

جدتي من أبثّ بعدك شكواي طواني الأسى وقل معيني

أنت يامن فتحت قلبك بالأمسِ لحبي أوصدت قبرك دوني

ولنلاحظ المفارقة التي أحدثتها الصدمة في نفس الشاعر: الجدة التي فتحت قلبها بالأمس له، توصد باب قبرها دونه اليوم، فبين انفتاح القلب (الامتلاء)، وانغلاق القبر (التلاشي) تمتد غربة الشاعر، وتسد عليه مسارب

التنفس، أما زواج أبيه بعد وفاة أمه، فقد حرمه من عطف بات أبعد من خيال أي امرأة يشتهيها: إنه التشبيه بالمستحيل، يقول الشاعر:

خيالك من أهلي الأقربين ابروإن كان لا يعقل

بي... منه قد جردتني النساء أمي طواها الردى والمعجلُ

إنها نجوى الوحيد الذي يتآكله الحرمان، وتغزوه الغربة من جميع الجهات.

ثانيا : الزوجة

ان صورة المرأة التي اشتهاها صبيا ، مراهقا وظل يبحث عنها في كل مكان لتنقذه من محنته وواقعه وآلآمه بعد ان تزوج إقبال في عام 1955 ، وكان هذا الزواج عاملا مهما في ترويض جموح عواطفه واندفاعها نحو الجنس والنساء ، يخلعه من الركض خلف المرأة التي يريدها ان تحبه لا ان تشفق عليه ، وبهذا ابتعد عن عقدة الشعور بالنقص نتيجة تواضع وسامته ، وقد احتلت اقبال مكانة متميزة في قلب الشاعر ورافقته في حله وترحاله مثل ممرضة تسهر عليه وتداري سأمه وارتعاش اصابعه على العكاز ، بالرغم من تقلب مزاجه وقلق عواطفه فكان ان فسح لها مكانا في شعره فمرة يدعوها باسمها الصريح ومرة يدعوها باسم الزوجة وقد ورد ذكرها في قصائد المتأخرات ذات النضج الفني الواضح وبالذات في مجموعاته الشعرية (المعبد الغريق ، منزل الاقنان ، شناشيل ابنة الجلبي) ففي (نبوءة ورؤيا) (الجنابي, 1986 : 69) يقول :-

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أرى افقا وليلا يطبقان علي من شرفه

ولي ولزوجتي في الصمت ، عند لدودها وقفه (السياب, 1966: 165)

وفي قصيدة (الوصية) يقول عن زوجته اقبال:-

اقبال يا زوجتي الحبيبة /لا تعذليني ما المنايا بيدي

ولست ان نجوت بالمخلد /كوني لغيلان رضى وطيبة /كوني له أبا وأما وأرحمي نحيبه (السياب، 1966: 221)

هنا يكشف الشاعر عن أوجاعه وآلامه وإحساسه بنهاية المطاف ، ان التذرع للزوجة بان تظل على الذكرى ، وان تمنح اطفاله الحب والحنان مما يعبر عن صدق عواطف الشاعر وأحساسه بالعجز امام سطوة القدر وأمام ذراع الموت التي توشك ان تمتد اليه ، انه يتذرع الى الحياة من خلال صورة الزوجة ، لكي يمنح نفسه نوعا من الاستقرار الذي يبعده عن الفزع المستوفز في دواخله ، لكنه عندما يصل الى النتيجة المذهلة بان الانسان غير مخلد كما كان طرفة بن العبد يرى مرغما ، وبانه لا محالة فان وان نجا من مرضه هذا ، فانه يلجأ الى الانتظار في قصيدة (سفر ايوب) حينما دعا زوجته الى الانتظار وهو يتقد على نار هادئة : (الجنابي, 1987: 103)

اقبال ..... ان في دمي لوجهك انتظار

وفي يدي دم ، اليك شده الحنين

ويقول ايضا :- ايه اقبال ، لا تيأسي من رجوعي /هاتفا ان اقرع الباب : عادا (السياب , 70)

السياب يكرر مع زوجته ما فعله مع حبيباته في السابق ، فالشاعر يكرر فعل الامر أحبيني ، لكن هذه المرة مع زوجته اقبال ، قبل ان كان يدعو حبيباته في السابق ويطلب منهن الحب ، فهو يدعو زوجته لان تحبه لان كل من احبهن قبلها لم يحببنه ، وانما كن يشفقن عليه فصار يشك بحب زوجته له ، وانها تداريه وتسهر على صحته لمجرد الاشفاق :-

آه ... زوجتي ، قدري ، أكان الداء

ليقعدني كأني ميت سكران لولاها ؟

وها أنا ... كل من أحببت قبلك ما أحبوني

وأنت ؟ لعله الاشفاق !!

السياب يجد ان اقبال هي مفتاح للخلاص ، وهو يتمنى ان تكون هي المرأة المشفقة عليه مع اننا نجده في بعض الأحيان يلومها لأنها اصرت على العودة من لندن الى العراق ، وقد ساءت صحته بعد ذلك ، فتشاءم واعتبر زوجته مسؤولة عن تدهور صحته ، وقد كتب قصيدة (القن والمجرة) في لحظة غضب من هذا الموقف :-

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولولا زوجتي ومزاجها الفوار لم تنهد أعصابي

ولم ترتد مثل الخيط رجلي دونما قوه

ولم يرتج ظهري فهو يسحبني إلى هوه

ولا فارقت احبابي (الشاعر, 1975: 166)

اما قصيدة (ليلة وداع) التي اهداها الى زوجته وكتبها في الكويت بتأريخ (21/ 8/ 1964) فانها تختلف بعض الشيء عن القصيدة السابقة فهو يعبر عن حسرته على حياته وحنينه الى زوجته التي سهرت عليه الليالي حتى انه دعاها بانها باعثته من العدم (الجنابي, 1987: 115):-

غدا تأتين يا اقبال ، يا بعثي من العدم

ويا موتي ولا موت (الشاعر, 1975: 711)

وان مرض الشاعر قد اضعف كثيرا من شعره ، الا ما كان من اطياف عابرة عاودته في اقبال وهو يكتب رسالة :

رسالة منك كاد القلب يلثمها

لولا الضلوع التي تثنيه ان يثبا

رسالة لم يهب الورد مشتعلا

الشاعر في آخر حياته كثير التساؤل عن الوطن عن الابناء ، عن الزوجة ، كما نراه في قصيدة (اقبال والليل) يخرج التساؤل بين العراق والابناء والزوجة :-

يا ليل اين هو العراق

اين الاحبة ؟ اين اطفالي ؟ وزوجتي والرفاق

يا ام غيلان الحبيبة صوبي في الليل نظره

نحو الخليج تصوريني اقطع الظلماء وحدي(حمود, 1978: 89)

ان صلة الشاعر مع زوجته إقبال كانت عبر مواطن الألم ولم تأت من الجسد ، وهكذا ابتدأ الشاعر حياته بمناجاته لامه وكثرة تساؤلاته وحنينه وبحثه عن امرأة تعطيه حنان الأم التي فقدها منذ طفولته كما ذكرنا سابقا ، فهو احب العديد من النساء ، لكن لم يصل الى الاندماج الكامل مع اية واحدة منهن الا مع اقبال ، الزوجة التي كانت تمثل المرأة الأخيرة في حياته .

ثالثا : الأطفال

فللأطفال في شعره مكانه لا تزاحم، ومن أجل هؤلاء الأطفال كان يتصور أنه ثار مع الثائرين على الظلم والاستعباد، ومن أجلهم انضم إلى الحزب الشيوعي حتى أنكر على نفسه أن يسخر شعره لحديث الحب وجمال الطبيعة بينما الأطفال جائعون (توفيق, 1981: 54) :

كيف يجوع آلاف من الطفال ملتفه ... بآلاف الخروق تعربد الريح الشتائية ... بها، وأظل أحلم بالهوى والشط والقمر؟! ... من هنا بدأت رسالته الإنسانية، وحين تذكر " مقابر الأطفال " كان ما يزال يتشبث بخيوط واهية تبقت من تلك الرسالة، لأن الكفاح في سبيل أولئك الأطفال لم يعد يقدر عليه رجل كسيح. ولكن من يقرأ شعر السياب سيلحظ فيه ذلك الحب العنيف لكل مظاهر الطفولة، وهو حب لم يتغير لحظة ولا اعتراه أي وهن.

ولعل من التذكر النموذجي أن تخطر بباله مقابر (الأطفال) في حمى أمهم العظمى وهو بعيد في بيروت: (السياب, 1966: 361)

ذكرت مقابر الأطفال ...

تلوذ بكل سفح، نام فيها دون أثداء ...

ولا قمط، صغار من حصاد الجوع والداء ...

لقد رضعوا من الثدي الذي لم تبله الأجيال ...

وناموا في حمى الأم التي لا يستوي الأطفال ...

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولا الأشياء إلا في حماها، في حمى ترب وظلماء ...

رابعا : المرأة في شعر السياب

ثمة وسائل يلجأ إليها الإنسان للتغلب على عزلته منها: الحب والصداقة والفن فالحب على وفق هذا التوصيف منهج تعويضي يعتمده المغترب للخروج من عزلته، ولكن إخفاقه في الحب سيقوده إلى اغتراب عاطفي يضاف إلى اغترابه الآخر(برديائف, 1965: 114).

عاش السياب عدة تجارب عاطفية, تنقل خلالها من امرأة إلى أخرى، فلم يظفر لدى أي منهن بما يعوضه عما افتقده من حنان الأم وعطف الأب أولًا، ولم يجد فيهن من تبادله الحب وتشاطره آلامه وآماله ثانيًا. فالسياب -شأن أي إنسان شاعر- لا يريد المرأة ((للتعبير عن حاجة تفرضها فتوته فقط، بل يريدها رفيقة حياته وبؤسه وحرمانه))،(برديائف, 1965: 119) على أن افتقاره إلى الحد الأدنى من الوسامة ربما حال بينه وبين مبتغاه، بالإضافة إلى ((ضعف موقعه الاجتماعي ماليًّا))،(صالح, 1988: 47) .

أيٍّ من حبيباته الخمس - بعد وفيقه وهالة - لم تكن لتغامر في قبول زوج فقير إلى المواهب البشرية، والموقع المالي في آن، ولكن الشاعر ركز على النفوذ المالي: فواحدة باعته ((بمأفونٍ لأجل المال)) وثانية عافْته ((إلى قصر وسيارة))، و((تلك وزوجها عبدا مظاهر ليلها سهر وخمر [و]... قمار))، وأشار إلى أن إحداهن -لبيبة- أغراها الحسن بأنّه ((غير كفء)).(ابنة الجلبي , 640) على أن الشيء الذي يهم الباحث هنا هو اعتراف الشاعر بأن كل اللائي أحبهن لم يبادْلنه الحب، ولم يعطْفن عليه يقول السياب:

وما من عادتي ماضي الذي كانا

ولكن... كل من أحببتُ قبلك ما أحبون

ولا عطفوا علي، عشقتُ سبعا.....

لقد احتمل الشاعر هذا العبء- الكابوس كل هذه السنين، التي طحنها الفقر، والتشرد، والمرض، واليأس، ليفصح عنه وهو على أهبة الرحيل الأبدي. فالفراغ العاطفي الرهيب الذي عاناه، مشحونًا بالتمني -المستحيل يتحول الآن إلى وحش كاسر يوشك أن ينقض على فريسته ولكن صرخة الشاعر/ الاعتراف أعادت توازنه: بين ماض من الخواء العاطفي، وغدرٍ بما امتلأ بكلمة حب تنقذ الجسد المسجى من الانهيار التام، ومن هنا صرخته الثانية- الرجاء:

أحبيني

لأني كل من أحببتُ قبلك لم يحبوني

والأمر الآخر الذي كشفته للباحث أشعار السياب العاطفية هو تكثيف ميله إلى الحب الحسي في مرحلة مرضه العضال. ويبدو أن هذا الحس الصارخ انعكاس لرغبة قديمة عجز عن إروائها، فقد أنفق عمره بحثًا عن امرأة تبادله الحب، وتطارحه الجنس، وتمنحه ما يشتهي، حتى إذا طال انتظاره دون جدوى، اضطر إلى خوض غمار التجارب الجسدية(عباس, 2007: 89) ولكن ذلك -كما يبدو - لم يطفئْ أوار رغبته، وها هو الموت المتربص به يوقظها الآن، فتفيض شعرًا على لسان الشاعر، يقول:

تشتهيك البارحة

فقبلُتُ ردن الرداء: هنا ساعداها،

هنا إبطها، يالكهف الخيالْ

ومرفأ ثغري إذا جرفْته رياح ابتهالْ

ودحرجه مد شوق ملِّحٍ، وقد حار السؤالْ

((تحبينني أنت؟ هل تخجلين))

ولنلاحظ في النص الرغبة الحسية (الإبط، مرفأ الثغر) إلى جانب الحب الروحي (تحبينني أنت؟). وقد يستبد به الجنس -ذلك الذي لم ينله بالمتعة المتبادلة- من خلال الخيال المتشظي من نار المدفأة فيرتسم أمامه الجسد العاري بكل إغراءاته، يقول في قصيدة سفر أيوب:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تدحرج: عري النهدان، بأن الجيد والساقُ

تدحرج لي علي الجنبِ

تدحرج ثم صك أضالعي، وتُثار أعراقُ

ويطفر للجبين دم، ويعروني

داور منه تصطك النواجذُ، خوف بحارِ

يطلّ فيبصر التي ار يزفر مثل تنينِ

إن الشاعر وهو يستعيد الرغبة في امتلاك جسد امرأة تبادله الحب، فإنه بذلك يعبر عن الوجه الآخر لاغترابه العاطفي، إنه الاغتراب الحسي بالتعبير الدقيق، والتصريح به على نية الاشتهاء يعني ممارسته خياليًّا، أي تخفيف ضغطه من على جسد السياب الضعيف وبالتالي استرداد، طاقة بدنية لمواصلة الحياة، ولولاها، لولا هذه الممارسة الخيالية لما استمرت حياة الشاعر في ظل مرضه هذه السنين على الرغم من قصرها.

الخاتمة

هذه رحلة علمية بحثت خلالها عن الاسرة في شعر بدر شاكر السياب في المصادر والمراجع، وبينت فيها الاسرة من الام والاب والمرأة والجدة في شعر السياب وقد بذلت جهدا ممزوجا بالمشقة والمتعة وبعد طول الطواف وصلت إلى خاتمة المطاف، فالحمد لله الذي ذلل لي الصعاب ووفقني إلى ما وصلت إليه من النتائج التالية

1- كتب السيّاب عن الشعر الحديث الذي يعمل على قلب الأوضاع الشعريّة, ونقل الشعر من ذهنية التقليد وتقديس الأنظمة القديمة إلى ذهنية الحياة الجديدة التي تنطق بلغة جيدة، وطريقة جديدة، وتعبّر عن حقائق جديدة.
2- يعد شاعرا معاصرا هو من شعراء عصر النهضة في الادب العراقي حيث تميز ما كتبه من قصائد بالإصالة والجمالية
3- تناول القضايا الاجتماعية والانسانية في أدبه وفي خاتمة شعره
4- حمل في شعره بصمة فريدة جمعت بين الحس الرومانسي والوجدان الوطني حيث يبقى حاضرا في الادب العربي المعاصر .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

5- يتجلّى حنين السياب إلى زوجته أولًا وإلى أطفاله ثانيًا بعد مرضه ونأيه عن الوطن. ويمكن القول بأن أبرز أناشيده التي نشاهد فيها هذا اللون من الحنين هي العشرة حيث ينادي فيها "إقبال" من غير مرة وكأنه يصغي إلى أطفاله (سفر أيوب).

المصادر والمراجع

عباس, إحسان, اتجاهات الشعر العربي المعاصر, منشورات دار الجمل، بغداد، 2007.
الإلتزام في الشعر العربي، أبو حاقة، أحمد؛ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2009
السياب , بدر شاكر,– د احين عباس , الرجل و الشاعر - منشورا أضواء - بيروت – 1966.
السياب , بدر شاكر ,رائد الشعر الحديث - عبد الجبار داود البصري- وزارة الثقافة والإرشاد العراقية- بغداد - 1966 , ص67
السياب , بدر شاكر ، شعبان ، عبد الحسين , دار الملاين , ط2, بيروت ، 1999
بلاطة , عيسى , بدر شاكر السياب حياته وشعره، بيروت 1971.
عباس , إحسان, بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره , الناشر : دار الثقافة بيروت لبنان، ط: 4 : 1978 .
العبطة , محمود , بدر شاكر السياب والحركة الشعريّة الجديدة في العراق، - بغداد 1965.
سويدان , سامي , بدر شاكر السياب وزيادة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨١ م.

توفيق , حسن , بدر شاكر السياب.. أصوات الشاعر المترجم، مقدمة الكتاب, بغداد , 1975.

عبـاس , إحسان , بدر شاكر السياب: دراسة في حياته وشعره ، - بيروت - دار الثقافة، 1969

الفاخوري , حنا , الجامع في تاريخ الأدب العربي، ج2، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1998.

توفيق , حسن , ديوان, أزهار ذابلة وقصائد مجهولة ، بيروت. المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشر،1981

ابنة الجلبي , ديوانه , شناشيل. المؤسسة العربية للدراسات والنشر , 1983.

ديوانه، أزهار وأساطير , دار العودة بيروت - الطبعة الأولى – 1979.

السياب ، بدر شاكر؛ المجموعة الشعرية الكاملة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،(د- ت).

عبد الجبار عباس , السياب ، مطبعة الواثق ,ط1, بغداد , (د- ت) .

الخياط , جلال , الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، دار الثقافة , بيروت، ١٩٦٥ م.

توفيق , حسن , شعر بدر شاكر السيّاب؛ دراسة فنية وفكرية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن ,عمان

حمود ,حمادي الشعر ومتيرات المرحلة ، (الشعر والتراث) ، جواد علي الطاهر , بغداد , 1978.

عبد الكريم حسن ، الموضوعية والبنيوية (دراسة في شعر السياب) ، دار الهدى للتوزيع والنشر , بغداد (د- ت).

برديائف , نيقولاي , العزلة والمجتمع. مطبعة دار المعرفة- بغداد- 1956

الياسري , فيصل ,غربال الذاكرة: بدر شاكر السياب, دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،2004 م.

الجنابي ، قيس , مواقف في شعر السياب ، دار المعارف للطبع والنشر , بغداد , 1987م .

الجنابي ، قيس كاظم , مجلة افاق عربية (بغداد) ،(بين شاذل طاقة والسياب) ، العدد 2 ، السنة 11 شباط 1986 .

حسن, عبد الكريم, الموضوعية والبنيوية (دراسة في شعر السياب), دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣ م.

حسن , عبد الكريم, الموضوعية والبنيوية (دراسة في شعر السياب)، دارالثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣

صالح, مدني هذا هو السياب، دار ومكتبه الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.

عبود، انعام جاسب، (2023): بنية الاستهلال في شعر الشاعر بدر شاكر السياب (دراسـة فنيـة). *Journal of Imam Al-Kadhum College, 7*(4), 175-. https://doi.org/10.61710/kax4d963 .

عزالدين، اسماعيل (1987): الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية المعنوية ط3 دار العودة ودار الثقافة بيروت، نشر في مجلة تسنيم الدولية للعلوم الانسانية والاجتماعية، http://dx.doi.org/10.13140/RG.2.2.12333.05603

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية